رسائل السيوطي

للإمام جلال الدين السيوطي

١

١-١٥

١ -اتمام النعمة في اختصاص الاسلام بهذه الامة	١-٤٨
٢-الاعلام بحكم عيسى علية السلام	٤٩-٩٦
٣-ال الفكر في فضل الذكر	٩٧-١٢٦
٤-انباء الاذكياء بحياة الأنبياء	١٢٧-١٥٨
٥-البارع في أقطاع الشارع و حسن التصريف في عدم التحليف	١٥٩-٢٠٦
٦-البدر الذي انجلى في مسألة الولا	٢٠٧-٢٣٨
٧-بسط الكف في اتمام الصف	٢٣٩-٢٧٠
٨-تحفة الانجاب بمسألة السنجاب	٢٧١-٣١٨
٩ -تزيين الأرائك في ارسال النبي الى الملائك	٣١٩-٣٥٠
١٠ -تعريف الفئة بأجوبة الأسئلة المائة	٣٥١-٤٣٠
١١-تنزيه الاعتقاد عن الحلول و الاتحاد	٤٣١-٤٧٠
١٢-تنزيه الانبياء عن تسفيه الأغبياء	٤٧١-٥١٠
١٣-تنوير الحلك في امكان رؤية النبي والملك	٥١١-٥٥٨
١٤-الجهر بمنع البروز على شاطئ النهر	٥٥٩-٦١٠
١٥-الجواب المصيب عن اعتراضات الخطيب	٦١١-٦٥٠
١٦-حقيقة السنة والبدعة	٦٥١-٧٦٠

رسائل السيوطي

(١)

إتمام النعمة
في اختصاص الإسلام بهذه الأمة

للإمام جلال الدين السيوطي

شرح وتحقيق

سعيد محمد اللحام

عالم الكتب

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م

عالم الكتب
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت ـ لبنان

ص.ب: ٨٧٢٣ ـ ١١، برقياً: نابعلبكي
هاتف: ٨١٩٦٨٤ ـ ٣١٥١٤٢ ـ ٦٠٣٢٠٣(٠١)
خليوي: ٣٨١٨٣١(٠٣)
فاكس: ٦٠٣٢٠٣ ـ ١ (٩٦١)

WORLD OF BOOKS
FOR PRINTING, PUBLISHING & DISTRIBUTION
BEIRUT - LEBANON

P.O.BOX : 11- 8723, CABLE : NABAALBAKI
TEL.: 01- 819684/ 315142/ 603203
CELL. 03 - 381831 FAX : 961 - 1 603203

يمنع طبع هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع، كما يمنع الاقتباس منه أو التمثيل أو الترجمة لأية لغة أخرى، أو نقله على أي نحو، وبأية طريقة، سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو بأية طريقة خلاف ذلك، إلا بموافقة خطيّة مسبقة من الناشر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وسلام على عباده الذين ٱصطفى، وبعد، فقد وقع السؤال: هل كان الأمم السابقة يُوصَفُون بأنهم مسلمون أو لا؟

فأجبت بما نصّه: اختلف العلماء: هل يطلق الإسلام على كل دين حقّ أو يختصّ بهذه الملّة الشريفة؟ على قولين؛ أرجحُهما الثاني، فبلغني بعد ذلك أن مُنكِراً أنكر ذلك، وأنه استدلَّ بأشياء على كون الأمم السابقة يُوصَفُون بكونهم مسلمين، فعجبت من ذلك عجبين:

الأول: من إنكاره:

فإنْ كان أنكر أن للعلماء في ذلك قولين فهذا دليل على جهله بنصوص العلماء وأقوالهم، ومَنْ هذا حاله يقال

في حقّه ما قاله الغزالي: لو سكت مَنْ لا يعرف قلّ الاختلاف، ومن قصر باعه وضاق نظره عن كلام علماء الأمة والاطلاع عليه فما له وللتكلّم فيما لا يدريه، والدخول فيما لا يعنيه، وحق مثل هذا أن يلزم السكوت، وإذا سمع شيئاً لم يسمعه قط يعتقد أنه استفاد فائدة جديدة فيعدها نعمةً من نعم الله عليه، ويدعو لمن أجراها على يديه، ويشكر الله عليها، وإن كان أنكر ترجيحَ القولِ الثاني فهذا ليس من وظيفته، إنما ذلك من وظيفة المجتهدين العالمين بوجوه الترجيحات ومسالك الأدلّة وطرق الحِجَاجِ[1] والنظر، وإنكاره أيضاً دليلٌ على جهله بنصوص الكتاب والسنة الواردة في ذلك.

العجب الثاني: من استدلاله:

فإن الاستدلال إنما يسوغُ للمجتهد العالم بطريق الاستدلال، أما غيره فما له ولذلك؟[2]

---

(١) طرق الحجاج: طرق المناظرة والحوار بين العلماء واحتجاج كل واحد لرأي أو قول بالبراهين والأدلة.

(٢) أي ليس لغير العالم المجتهد أن يجتهد بطريق الاستدلال لأنه لا يملك

قال الغزالي في كتاب التفرقة: **شَرْط المُقَلِّد** أن يسكت ويسكت عنه؛ لأنه قاصر عن سلوك طريق الحجاج، ولو كان أهلاً له كان مستتبعاً لا تابعاً وإماماً لا مأموماً، وإن خاض المقلِّد في المحاجَّةِ فذلك منه فضول، والمشتغل به ضارب في حديدٍ بارد، وطالب لإصلاح فاسد:

وهل يُصْلِحُ الْعَطَّارُ مَا أَفْسَدَ الدهر؟

هذه عبارة الغزالي.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: شَرْطُ المفتي أن يكون مجتهداً، وأمّا المقلد إذا أفتى فهو ناقل وحامل فقه ليس بمُفْتٍ ولا فقيه، بل هو كمن ينقل فتوى عن إمام من الأئمّة، ثم أطال القول في ذلك.

والعجب من هذا المنكِر استدلاله بآيات من القرآن، وليس هو ممّن أتقن علم المعاني والبيان الذي لا تُعْرَف بلاغة القرآن وأساليبه إلاّ به، وذلك من شروط الاجتهاد

عدَّته فلكل صناعة عدة وأدوات ولكل علم شروط لا بد من توافرها لمن يخوض بحر هذا العلم.

والاستنباط، بل ولا أتقن واحداً من العلوم الخمسة عشر التي لا يجوز لأحد أن يتكلّم في القرآن حتى يتقنها[1]، والعجب من تَصَدِّيه لذكر أدلّة، ولو أورد عليه أدلّة معارضة لما ذكره لم يدر كيف يصنع فيها.

القول الراجح في هذه المسألة

وقد أردت أن أبسط القول في هذه المسألة بذكر أدلّة القول الراجح، والأجوبة عما عارضها، فأقول:

أقوال العلماء

للعلماء في هذه المسألة قولان مشهوران، حكاهما غير واحد من الأئمّة:

أحدهما: أنه يطلق الإسلام على كل دين حق، ولا يختصّ بهذه الملّة، وبهذا أجاب ابن الصلاح. **والقول الثاني**: أن الإسلام خاص بهذه الملة الشريفة، ووصف المسلمين خاص بهذه الأمّة المحمديّة، ولم يوصف به

---

(١) لأن من تكلم في القرآن بغير علم ضَلَّ وأضلَّ وكان كمن تطبّب ولا علم له بالطب فقتل المريض بدل أن يشفيه وهو يظن أنه يحسن صنعاً.

أحد من الأمم السابقة سوى الأنبياء فقط، فشرّفت هذه الأمة بأن وصفت بالوصف الذي كان يُوصَفُ به الأنبياء تشريفاً لها وتكريماً، وهذا القول هو الراجح نقلاً ودليلاً؛ لما قام عليه من الأدلّة الساطعة.

وقد خُصَّت هذه الأمة من بين سائر الأمم بخصائص لم تكن لأحد سواها إلا للأنبياء[1] فقط من ذلك الوضوء، فإنه خصيصة بهذه الأمة، ولم يكن أحد من الأمم يتوضّأ إلا الأنبياء فقط، في أشياء أُخر.

أخرج البيهقي في دلائل النبوّة عن وهب بن منبه قال: إن الله أوحى إلى داود في الزَّبُور: «يا داود إنه سيأتي من بعدك نبي آسْمُهُ أحمد، إلى أن قال: أمته أمة مرحومة، أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء، وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسل، حتى يأتوني يوم القيامة ونورُهم مثلُ نور الأنبياء، وذلك أني آفترضْتُ عليهم أن يتطهّروا لي لكل صلاة كما افترضت

(١) قبل نبي الهدى محمد ﷺ وبمبعثه صارت هذه الخصائص للمسلمين أمة محمد ﷺ ولمن تبعه إلى يوم الدين.

على الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالحجّ كما أمرت الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالجهاد كما أمرت الرسل قبلهم».

وأخرج الفريابي في تفسيره عن كعب قال: أُعْطِيَتْ هذه الأمة ثلاثَ خصالٍ لم يعطها إلا الأنبياء، كان النبيّ يقال له بلِّغ ولا حرج وأنت شهيد على قومك وادْعُ أجبك، وقال لهذه الأمة: ﴿وَمَاجَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1]، وقال: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[2]، وقال: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[3].

وأخرج أبو نعيم والبيهقي كلاهما في دلائل النبوّة عن كعب قال: في كتاب الله إن لكل نبي يوم القيامة نورين، ولكل من اتّبعه نور، ولمحمد ﷺ في كل شعرة في رأسه ووجهه نور، ولكل من اتبعه نوران يمشي بهما كنور الأنبياء، وخصائص هذه الأمة كثيرة، وفيما أوردناه كفاية.

---

(١) سورة الحج، من الآية ٧٨.
(٢) سورة البقرة، من الآية ١٤٣.
(٣) سورة غافر، الآية ٦٠.

ذكر الأدلّة للقول الراجح

الدليل الأول:

قولُه تعالىٰ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾[1] ﴿وَفِي هَٰذَا﴾[2] اختلف في ضمير ﴿هُوَ﴾ هل هو لإبراهيم أو الله؟ على قولين سيذكران، وقوله: ﴿سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ لو لم يكن ذلك خاصّاً بهم كالذي ذكر قبله لم يكن لتخصيصه بالذكر ولا لاقترانه بما قبله معنى، وهذا هو الذي فهمه السلفُ من الآية.

أخبرني الشيخُ جلال الدين بن الملقن مشافهة عن أبي الفرج العزي أنبأنا يونس بن إبراهيم عن أبي الحسن بن المقير أنا الحافظ أبو الفضل بن ناصر إجازة عن أبي القاسم بن منده أنا أبي أنا أبو محمّد بن أبي حاتم في تفسيره أخبرنا أبو يزيد القراطيسي فيما كتب إليَّ أنبأنا أصبغ سمعت ابن زيد يقول في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ

---

(١) سورة الحج، الآية ٧٨.

(٢) سورة الحج، الآية ٧٨.

٩

ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾[1] قال: لم يذكر الله بالإسلام غير هذه الأمة، ولم نسمع بأمة ذكرت بالإسلام غيرها، هذا إسناد صحيح إلى ابن زيد، وهو أحد أئمّة السلف في التفسير، وطبقته في أتباع التابعين.

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ قال: الله عزّ وجلّ سماكم المسلمين.

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1] قال: الله عزّ وجلّ ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ قال: يعني من قبل الكتب كلّها ومن قبل الذكر ﴿وَفِى هَٰذَا ﴾قال: القرآن.

وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1] قال: الله تعالىٰ سمّاكم المسلمين من قبل في الكتب وفي هذا أي في كتابكم.

---

(١) سورة الحج، الآية ٧٨.

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن سفيان بن عُيَيْنَة في قوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ قال: في التوراة والإنجيل، ﴿وَفِى هَٰذَا﴾ قال القرآن.

وذكر ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان في قوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ قال: يعني في الذكر في أم الكتاب ﴿وَفِى هَٰذَا﴾ قال: في القرآن.

فهذه نصوص أئمّة السلف المفسّرين من الصحابة والتابعين وأتباعهم أن الله سمّى هذه الأمّة المسلمين في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ وفي التوراة والإنجيل وسائر كتبه المنزّلة وفي القرآن؛ فإنه اختصّهم بهذا الاسم من بين سائر الأمم، وسيأتي الأثر عن بعض كتب الله في تسمية هذه الأمة بهذا الاسم.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد في قوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1] قال: هو إبراهيم، ألا ترى إلى قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾[2].

---

(١) سورة الحج، الآية ٧٨.

(٢) سورة البقرة، من الآية ١٢٨.

الدليل الثاني:

قولُه تعالىٰ حكاية عن إبراهيم عليه السّلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[1] دعا بذلك لنفسه ولولده، وهما نبيّان، ثم دعا به لأمةٍ من ذريّته وهي هذه الأمّة، ولهذا قال عقب ذلك: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[2] وهو النبيّ ﷺ بالإجماع، فأجاب الله دعاءه بالأمرين: ببعث النبيّ ﷺ فيهم، وتسميتهم مسلمين، ولهذا أشار تعالىٰ إلى أن إبراهيم هو السبب في ذلك بقوله: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ كما تقدم عن ابن زيد.

أخرج ابن أبي حاتم عن سلام بن أبي مطيع في قوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ قال: كانَا مسلمين، ولكن سألاه الثبات.

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[1] قال: يعنيان العَرَب، وفي قوله:

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٨.

(٢) سورة البقرة، من الآية ١٢٩.

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[1]، قال: هو محمد ﷺ.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي العالية في قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ قال: يعني أمة محمد ﷺ، فقيل له: قد استجيب لك، وهو كائن في آخر الزمان.

الدليل الثالث:

قولُه تعالىٰ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[2]، هو ظاهر في الاختصاص بهم.

فإن قلت: لا يلزم.

قلت: ذاك لجهلك بقواعد المعاني؛ فإن تقديم ﴿لَكُمُ﴾[2] يستلزمه ويفيد أنه لم يرضه لغيرهم، كما قال صاحب الكشاف في قوله تعالىٰ: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[3] إن تقديم ﴿هُمْ﴾ تعريض بأهل الكتاب، وأنهم

---

(١) سورة البقرة، من الآية ١٢٩.
(٢) سورة المائدة، الآية ٣.
(٣) سورة البقرة، الآية ٤.

١٣

لا يوقنون بالآخرة، وكما قال الأصفهاني في قوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[1] إن تقديم ﴿هُم﴾ يفيد أن غيرهم يخرج منها، وهم الموحِّدُونَ.

الدليل الرابع:

قولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾[2]، وبهذه الآية استدلّ من قال: إن الإسلام كان من وَصْف الأنبياء دون أممهم.

أخرج ابن المنذر عن عكرمة وابن جريج في قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ الآية، قال: يحكم بها محمد ﷺ ومَنْ قبله من الأنبياء والربانيّون والأحبار، كلّهم يحكم بما فيها من الحق ليهود[3].

الدليل الخامس:

ما أخرجه إسحاقُ بن راهويه في مسنده وابن أبي شيبة

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٦٧.
(٢) سورة المائدة، الآية ٤٤.
(٣) أي يحكمون بها بينهم فيما لهم من الحقوق بعضهم على بعض.

١٤

في مُصَنّفه عن مكحول قال: «كان لعمر على رجلٍ حقٌّ[1]، فأتاه يطلبه، فقال عمر: لا والذي اصطفى محمّداً على البشر لا أفارقك، فقال اليهودي: والله ما اصطفى الله محمداً على البشر، فلطمه عمر، فأتى اليهودي النبيَّ ﷺ فأخبره، فقال النبيّ ﷺ: بلى يا يهوديُّ آدمُ صفيُّ الله، وإبراهيم خليل الله، وموسى نجيُّ الله، وعيسى روح الله، وأنا حبيبُ الله، بلى يا يهوديُّ تسمّى الله باسمين سمَّى الله بهما أمتي، هو السلام وسمّى بها أمتي المسلمين، وهو المؤمن وسَمَّى بها أمتي المؤمنين، بلى يا يهوديُّ طلبتم يوماً ذُخِرَ لنا، لنا اليوم، ولكم غد، وبعد غد للنصارى، بلى يا يهوديُّ أنتم الأوّلون ونحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بلى إن الجنّة محرَّمة على الأنبياء حتى أدخلها، وهي محرمة على الأمم حتى تدخلها أمّتي».

هذا الحديث صريحٌ في اختصاص أمّته بوصف الإسلام، كما أن جميع ما فيه خصائص لها، ولو كانت الأمم مشاركة لها في ذلك لم يحسن إيراده في معرض

---

(١) حق: أي دَيْنٌ.

التفضيل؛ إذ كان اليهودي يقول: ونحن أيضاً كذلك وسائر الأمم.

الدليل السادس:

ما أخرجه البخاري في تاريخه والنسائي في سننه وابن مردويه في تفسيره عند قوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1] عن الحارث الأشعري عن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثاء جهنم**»[2] قال رجل: يا رسول الله وإن صام وصلّى؟ قال: «**نعم، فادعوا بدعوة الله التي سمّاكم بها المسلمين والمؤمنين عباد الله**».

الدليل السابع:

ما أخرجه ابن جرير في تفسيره عن قتادة قال: ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول لما أنزلت هذه الآية: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾[3]: «**نحن نحكم على**

---

(١) سورة الحج، الآية ٧٨.

(٢) الجَثَاءُ والجُثَاءُ: الشخص والجزاء والقَدَر والزُّهاء والمراد أنه من أهل النار الذين يخلدون فيها.

(٣) سورة المائدة، الآية ٤٤.